منهج علماء الدعوة السلفية في نجد في الرد على المخالفين

Methodology of Najdian Dawah Salafia's Scholars in refutation of Rivals

د.سيد عبد الغفار بخارى [١]

د. عبد القادر عبد الكريم جوندل [٢]

ABSTRACT

Refuting rivals is a form of jihad, whether these rivals are heretics, infidels or hypocrites and it is the best and utmost submission. Moreover, this refutation is a cautionary action against Bid'ah (innovation), termination of revolt, and an identification of offenders. Refuting rivals cannot be considered as a good and acceptable deed, unless it is a declaration of righteous way as well as a guidance for human beings, and a cause of mercy for them.

Scholars of Najd tried to rebut the rivals and in this regard, they wrote numerous books and other scripts in refutation to the followers of bid'ah (innovation) and the antagonists of Sunnah. Moreover, they have presented satisfactory replies in order to eradicate the misgivings and negative reservations.

Amongst the salient features of their approach, while presenting their arguments and substantiations, include the best and righteous understanding of the Qur'an and Sunnah, Ijmah (consensus) and the Ummah's Predecessors. Similarly, their approach also included impartial criticism to the rivals, to avoid insulting and disrespectful ways of discussion and not to declare any Muslim a Kaa'fir (non-believer).

The discussion offered by Najdian Scholars has not been based on prejudice to any particular region or school of though. We seek refuge of Allah Almighty from such claims, rather it has been the discussion presented by the Scholars with righteous faith based on the Quran o Sunnah, who have incessantly been patiently engaged in educating and guiding, offering fatawa (jurisprudence ruling) and Jihad (Holy War).

Key wards: Najd scholars, innovation, opponents, suspicions, correct faith,

---

[١] الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية بالجامعة القومية للغات الحديثة، إسلام آباد

[**] الأستاذ المساعد بالجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد ض

اجتهد علماء نجد في الرد على المخالفين وسطروا كتباً كثيرة، ورسائل متعددة في الرد على طوائف الكفر وأهل البدع وسائر المخالفين لدين الله تعالى، ودوّنوا أجوبة شافية في إزالة اشكالات وكشف شبهات، وكان الباعث على كتابة تلك الردود هو الغيرة على دين الله تعالى، والذب عن شعائر الله والغضب لحرمات الله عز وجل، فهذه الجهود في الرد على المخالفين من مقتضيات الولاء والبراء، ومن لوازم الحب في الله والبغض في الله، الذي يعد أوثق عرى الإيمان كما أخبر الصادق المصدوق، ومن ثم فإن أحدهم يرد على المخالف أياً كان، سواءً أكان حاكماً أو محكوماً، قريباً أو بعيداً، مع مراعاتهم لأحوال الناس ومنازلهم، ومدى قربهم أو بعدهم عن الحق، فعلى سبيل المثال نجد الشيخ حمد بن عتيق (ت١٣٠١هـ)يرد على اعتراضات أحد الحكام في زمانه، كما رد على أخطاء في تفسير فتح البيان للشيخ محمد صديق حسن رحمه الله، وكان الشيخ حمد في غاية الصلابة والشدة مع ذاك الحاكم، بينما كانت رسالته إلى الشيخ محمد صديق حسن في غاية اللطف واللين فمع ما وقع فيه الشيخ محمد صديق من أخطاء وهنات في تفسيره، ومع ما اشتهر عن ابن عتيق من الغيرة الإيمانية والقوة في دين الله تعالى، إلا أننا نجد الشيخ ابن عتيق يلتمس لمحمد صديق المعاذير، ويحسن الظن به، لما كان عليه محمد صديق من عموم الاتباع لمذهب السلف الصالح. ومن خلال متابعة واطلاع لجملة من هذه الردود، أقف بعض الوقفات:

١– كثرة الردود وتعددها وشمولها

ما أكثر الكتب والرسائل التي دونها أولئك العلماء في الرد على المنحرفين، وما أكثر القصائد التي نظمها العلماء في الجواب على المبتدعة وبقية المخالفين، وقد تميز بعض علماء نجد بكثرة الردود وتعددها، ومن ذلك الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (ت١٣٨٥هـ)، وابنه العلامة عبد اللطيف (ت١٣٩٣هـ) والشيخ سليمان بن سحمان (ت١٣٤٩هـ). ولقد كتب الشيخ عبد الرحمن بن حسن ردّاً على داود بن جرجيس النقشبندي، وجملة من الردود على عثمان بن منصور، وردّاً على ابن حميد صاحب السحب الوابلة، وردّاً على محمود الكشميري، وغيرهم.

وأما الردود التي حررها العلامة عبد اللطيف فهي كثيرة، منها :رد مطوّل وآخر مختصر على داود بن جرجيس، وجملة من الردود علي عثمان بن منصور، والبراهين الإسلامية في الرد على الشبهات الفارسية، ورد على الصحاف، والبولاقي، وابن عمير..وأما الردود التي كتبها الشيخ سليمان بن سحمان فهي كثيرة جداً، منها:الأسنة الحداد في الردّ على علوي الحداد.ولم يقتصر علماء نجد في ردودهم على طائفة معينة فحسب، بل شملت ردودهم

جميع الطوائف المبتدعة، فكتبوا في الرد على الملاحدة الزنادقة والنصارى، والباطنية، والمتصوفة والخرافيين، وكذلك الرد على الرافضة الأشاعرة وغيرهم.

٢- تنوع الردود حسب اختلاف الأحوال

تنوعت ردود علماء نجد واختلفت حسب ما استجد من الانحرافات والمخالفات، فغلب على رسائل أئمة الدعوة زمن الدولة السعودية الأولى الرد على المخالفين في توحيد العبادة لكثرة المخالف آنذاك، وأظهر مثال على ذلك ما نجده في مؤلفات ورسائل الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.ولما انتشرت الدعوة السلفية في بقية أنحاء الجزيرة العربية وخارجها احتاج الأمر إلى زيادة بيان وتفصيل في مبحث الأسماء والصفات، وذلك لغلبة الانحراف في هذا الباب في كثير من بلاد المسلمين، كما نجده جلياً في رسائل الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبي بطين (ت١٢٨٢هـ) والشيخ عبد الرحمن بن حسن وابنه العلامة عبد اللطيف.

٣- الانتصار لإخوانهم العلماء

فإذا رد أحد هؤلاء الأعلام علي بدعة أو مخالفة، فلا عجب أن يرد المخالف على هذا العالم، ومن ثم قام علماء نجد بالذب عن إخوانهم وحماية أعراضهم، وتقرير صحة ردودهم وتأكيدها.ومن ذلك أن الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين كتب رسالة في تخطئة البوصيري في بردته، فقام أحدهم بالذب عن تلك البردة والرد علي المعتقد الصحيح، فانبرى الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب في الدفاع عن أبي بطين وتقرير صواب رسالته، وحسبك أن تلقي نظرة على الجزء التاسع من كتاب» الدرر السنية في الأجوبة النجدية «وكتاب»: مختصرات الردود «وتبلغ صفحات هذا الجزء ثمان وأربعين وأربع مائة صفحة من الحجم الكبير مع أن هذا الجزء يقتصر على بعض الردود لا كلها، وعلى مختصرات الردود دون مطولاتها لتعرف مدى ذلك.

أسباب اختيار الموضوع:

وأما أسباب اختيار هذا الموضوع، فيمكن أن أجملها في النقاط التالية:

١- كثرة الردود التي دوّنها علماء الدعوة السلفية رحمهم الله في نجد في الردّ على المخالفين، وتنوعها ما بين كتب، ورسائل، وقصائد، كما أنها تشتمل على الردّ على غالب طوائف البدع والمخالفين، حيث يحتاج هذا التراث إلى دراسة علمية تكشف عن مناهج هؤلاء العلماء في الردّ على المخالفين وتبيّن جهودهم المبذولة في هذا المجال.

٢- كثرة الاختلاف الذي وقع في المناهج التي تردّ على المخالفين، فهناك المنهج المتساهل كمنهج المدرسة العقلية الحديثة الذي لا يقيم للخلاف وزناً يُذكر، فيسوّغ الخلاف فيما

لا يسوغ الخلاف فيه، وهناك المنهج المتشدّد كمنهج الخوارج ومن تأثّر بهم الذي لا يرتضي الخلاف مطلقاً، ولا يعتبره، ويضيق به ذرعاً، ويرى أنه شر محض.

٣- الحرص على بيان عقيدة السلف الصالح، وإيضاح مناهجهم في ردّ الاعتراضات والشبهات المثارة ضدها.

المبحث الأول:خصائص منهجهم فيما يتعلق بالاستدلال وعرض الأدلة

المطلب الأول: اعتمادهم في الرد على الكتاب والسنة والإجماع وفهم السلف الصالح

اعتمد أئمة الدعوة في الرد على المخالفين على الدليل الشرعي الصريح الصحيح من الكتاب والسنة وفهم السلف وإجماعهم، وهو ذاته ما ارتكز عليه منهجهم في التلقي والاستدلال.ومن خلال الاستقراء لما كتبه أئمة الدعوة في رسائلهم وردودهم نجد أنهم سلكوا مسلك السلف الصالح في تقرير العقيدة والردّ على المخالفين، ويمكن إيضاح ذلك من خلال الأمور الآتية:

١- الإيمان بما جاء في الكتاب والسنة والالتزام به في ردودهم على المخالفين.

٢- الردّ إلى الله ورسوله عند النزاع.

٣- توكيدهم على ما أجمع عليه السلف، واعتماده أصلاً يؤخذ به.

أولاً: الإيمان بما جاء في الكتاب والسنة، والالتزام به في ردودهم على المخالفين

وفي ذلك يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله : "[(١)] فعلم مما ذكرناه وغيره من أدلة الكتاب والسنة أن الكفار والمشركين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ومن أمته، ولهذا وجب قتالهم ...".وقال أيضاً: "[(٢)] قلت: ولا يعرف عن أحد من أهل العلم خلاف ما دلت عليه هذه الآيات المحكمات، ونعوذ بالله من مخالفة ما أنزل الله في كتابه، وما أخبر به عن نفسه، أو أخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم، وأجمع عليه العلماء ...".

وقال الشيخ حمد بن معمر رحمه الله: "فيجب علينا الإيمان بكل ما نطق به الكتاب والسنة من صفات الرب جل وعلا ...".[(٣)] وقال رحمه الله في إثبات صفات الله: "وكل ما أخبر الله به، وأخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم، يجب الإيمان به، سواء عرفنا

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية: (٢/٥٩) وانظر أيضاً: (٢/٥٥، ٥٦، ٥٧، ٢٧).

(٢) المحجة في الرد على اللجة: ص (٤١)، وانظر أيضاً: الدرر السنية: (٢/١٣١، ١٥٢، ٣/١٣٨، ١٣٩)، وتلخيص المنهاج: ص (٢٩٣)، والقول الفصل النفيس: ص (٢٢١).

(٣) التحفة المدنية في العقيدة السلفية: ص (٥٩) والفواكه العذاب في معتقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب: ص (٩٢).

معناه أو لم نعرفه، وكذلك ما ثبت باتفاق سلف الأمة وأئمتها مع أن عامته منصوص عليه في الكتاب والسنة."[١]

ثانياً: الردّ إلى الله ورسوله عند النزاع

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: "[٢]وقد أمر الله المسلمين كلهم إذا تنازعوا في شيء أن يردوه إلى الله والرسول، فقال: "وأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ... [٣]

ويقول الشيخ حمد بن ناصر رحمه الله " وأنَّه قد اتفق السلف والخلف على أنَّ الردَّ إلى الله هو الردُّ إلى كتابه، والردَّ إلى الرسول هو الردُّ إلى سنَّته بعد وفاته: "وهذه قاعدة عظيمة مهمَّة؛ يحتاج إليها كلّ أحد، وطالب العلم إليها أحوج، فإنَّه في غالب الأحوال يرى نصوص أهل مذهبه قد خالفت نصوص غيرهم من أهل المذاهب، فلا ينبغي له أن يهجم على كتب المذاهب، ويأخذ بعزائمها ورخصها؛ بل الواجب عليه أن يطلب ما جاء في تلك المسائل عن الله ورسوله، ويعرض نصوص مذهبه ونصوص غيرهم من أهل المذاهب، على ما جاء عن الله ورسوله؛ فما وافقها قبله، وما خالفها رده على قائله، كائنا من كان؛ فيجعل ما جاء عن الله ورسوله، هو المعيار، ويدور معه حيث دار.

وكثير من الناس أو أكثرهم نكس هذا الحكم على رأسه، وجعلوا الحكم للكتب التي صنفها المتأخرون فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ [٤]. بل صرّح بعضهم في مصنفاته بأنه يجب على العامّي، أن يتمذهب، يأخذ بعزائمه ورخصه، وإن خالف نص الكتاب أو السنة؛ وهذا من أعظم حيل الشيطان، وحبائله التي صاد بها كثيرا ممن ينتسب إلى العلم والدين؛ فنبذوا كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون.." انتهى كلامه.[٥]

ثالثاً: توكيدهم على ما أجمع عليه السلف واعتماده أصلاً يؤخذه به

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله : "[٦]فمن تتبع ما ذكره هذا العراقي لم يجد فيه كلمة تقوم بها حجة؛ بل كل ما ذكره مردود بصريح القرآن والسنة وإجماع السلف الصالح، وهم الذين إجماعهم حجة ...".

---

(١) التحفة المدنية في العقيدة السلفية: ص (٥٩ – ٦٠) والفواكه العذاب: ص (٩٢ – ٩٣).

(٢) تلخيص المنهاج: ص (٣٠٨، ٣٠٩).

(٣) سورة النساء، الآية: (٥٩).

(٤) سورة المؤمنون، الآية: (٥٣).

(٥) انظر: الدرر السنية: (٩٥/١١-٩٦) ط: الجديدة.

(٦) القول الفصل النفيس: ص (٢٢١) وانظر أيضاً: الدرر السنية: (٤٦٨/٦) وفتح المجيد: ص (٣٦١) ومجموعة الرسائل والمسائل النجدية: (١٢/٢).

ولما سئل الشيخ حمد بن معمر رحمه الله : عمن قال لا إله إلاّ الله، محمد رسول الله، ولم يصلّ، ولم يزكّ هل يكون مؤمناً؟" فصّل في المسألة ثم قال: "والعلماء إذا أجمعوا فإجماعهم حجة لا يجمعون على ضلالة."[١] وقال رحمه الله في الرد على من لم يكفّر تارك الصلاة كسلا مستدلاً بحديث أبي هريرة مرفوعاً (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله).قال: (إنه فهم مشؤوم مذموم، مخالف للكتاب والسنة وإجماع الأمة).[٢]

المطلب الثاني: الاعتماد على أقوال الصحابة والتابعين في تفسير النصوص

بيَّن أئمة الدعوة – رحمهم الله – في مواضع كثيرة من رسائلهم أهمية التَقَيُّد بتفسير السلف الصالح للنصوص؛ إذ إنهم أعلم وطريقتهم هي الأحكام والأسلم، فهم أعلم الناس بمراد الشارع، ومن كان كذلك كانت طريقتهم فيها الحكمة والسلامة، وعلى رأس السلف الصالح أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان من أهل القرون المفضلة.قال تعالى مبيّناً أن رضاه مشروط بإتباع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رضي الله عنهم وَرَضُوا عَنْهُ [٣] -وجاء في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "... فعليكُم بسنَّتي وسُنَّةِ الخُلفاءِ المهديِّينَ الرَّاشدينَ، تَمَسَّكوا بها، وعَضُّوا عليها بالنَّواجذِ....[٤]

وقد أكَّد هذا المعنى أئمة الدعوة رحمهم الله في مواضع كثيرة من كلامهم، فمن ذلك: ما قاله الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بعد ذكر جملة من أمور العقيدة، قال: "هذا اعتقادنا، وهذا الذي مشى عليه السلف الصالح، من المهاجرين والأنصار، والتابعين، وتابع التابعين، والأئمة الأربعة رضي الله عنهم أجمعين؛ وهم أحب الناس لنبيهم، وأعظمهم في إتباعه وشرعه."[٥]

وقال العلّامة حمد بن ناصر رحمه الله : "فإن كان أفضل أي دعاء الموتى، فكيف خفي علماً وعملاً على الصحابة والتابعين وتابعيهم؟ فتكون القرون الثلاثة الفاضلة، جاهلة علماً وعملاً بهذا الفضل العظيم، يظفر به الخلوف علماً وعملاً." [٦]

ومن الذين بيّنوا ذلك أيضاً العلّامة عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين رحمه الله قال

---

(١) الفواكه العذاب في الرد على القبوريين: ص (٢١٠).

(٢) الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب: ص (٦٨).

(٣) سورة التوبة، الآية: (١٠٠).

(٤) سنن أبي داود، باب في لزوم السنة: (١٧/٧) رقم الحديث: (٤٦٠٧).

(٥) الدرر السنية: (٦٤/١، ٨٦) وانظر: (١٥٦/٢)، (١١/١٠- ١٢).

(٦) الدرر السنية: (٤٣/١١).

في معرض الردّ على من أجاز بعض البدع: "فلو كان خيراً يحبه الله، لسبقنا إليه أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، فإنهم كفوا من بعدهم، كما قالوا: اتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كفيتم؛ فإنهم، رضي الله عنهم، بالخير أعلم، وعليه أحرص.

فمن ابتدع شيئاً يتقرب به إلى الله، ولم يجعله الله ورسوله قربة، فقد شرع في الدين ما لم يأذن به الله. أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ [١]، واستدرك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم لم يعلموا ما علمه، أو أنهم لم يعملوا بما علموا، فلزمه استجهال السابقين الأولين، من المهاجرين والأنصار، أو تقصيرهم في العمل. فهم، رضي الله عنهم، قد كفوا من بعدهم، والخير في الاتباع، والشر في الابتداع." [٢]

وقال العلّامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله "وكل ما لم يفعله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مما حدث بعدهم، يقال: "لو كان خيراً لسبقونا إليه". [٣]

وهذا يؤكد ما كان عليه أئمة الدعوة رحمهم الله من تعظيم فهم السلف الصالح للنصوص الشرعية، وتقديم كلامهم على كلام غيرهم، وعلى رأسهم الصحابة رضي الله عنهم ويتضح ذلك جلياً في أجوبتهم في ردِّ الشبهات، كما سيأتي بيانه بمشيئة الله تعالى.

المطلب الثالث: تقرير الحق أولاً، ثم بيان الباطل والردِّ عليه

طريقة أهل السُنَّة في بيان الحق وإيضاحه للناس، وبيان الباطل والردِّ على أهله، هي: طريقة القرآن الكريم، وذلك بعرض الحق أولاً، ثم تثنيته بذكر الباطل وزيفه، ومن ذلك قول ربنا تبارك وتعالى: وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا [٤].

وعلى هذا المنال سار أئمة الدعوة رحمهم الله فقد جاء عن الشيخ حمد بن ناصر آل معمّر رحمه الله : أنه سئل عن الاستغاثة بالأنبياء والأولياء، فأجاب بقوله: "أما بعد: فإن الله تعالى قد أكمل لنا الدين، ورسوله قد بلغ البلاغ المبين، وأنزل عليه الكتاب هدى، وذكرى للمؤمنين، قال الله تعالى: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا [٥]، إلى أن قال- رحمه الله - : "فمن أصغى إلى كتاب الله وسنة رسوله رسوله صلى الله عليه وسلم وجد فيهما الهدى والشفاء .. إذا عرف هذا . وإذا تمهَّد هذا،

---

(١) سورة الشورى، الآية: (٢١).

(٢) الدرر السنية: (١٠٦/٨) وانظر: تأسيس التقديس: ص (١٢٢).

(٣) الدرر السنية: (٥٠٤/١١) باختصار يسير، وانظر: (١٥٩/٣)

(٤) سورة النساء، الآية: (١١٥).

(٥) سورة المائدة، الآية: (٣).

فنقول: الذي نعتقده وندين الله به، أن من دعا نبياً، أو ولياً، أو غيرهما وسأل منهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، أن هذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين." (١)

ويقرّر ذلك الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ – رحمه الله – : "وقد عنّ لي الجواب، ليتميز الخطأ من الصواب، فلا بد من ذكر مقدمة نافعة، لتكون هي المقصودة بالذات، ورجاء أن تكون سببا موصلا إلى رضوان الله، يستبصر بها طالب الهدى من عباد الله، وذلك بتوفيق الله الذي لا إله سواه، ولا حول ولا قوة إلا بالله. اعلم أيها المنصف: أن دين الله القويم، وصراطه المستقيم، إنما يتبين بمعرفة أمور ثلاثة، عليها مدار دين الإسلام، وبها يتم العمل بأدلة الشريعة والأحكام، ومتى اختلت وتلاشت، وقع الخلل في ذلك النظام." (٢)

المطلب الرابع: جمع النصوص الواردة في المسألة الواحدة وتفسير بعضها ببعض

لابدَّ لمن أراد أن يتصور باباً من أبواب الشريعة؛ أن يجمع أطرافه ليكسبه فهماً صائباً لمعناه، فقد أُثر عن إمام أهل السنَّة أحمد بن حنبل– رحمه الله – : "الحديث إذا لم تُجمع طرقه لم تفهمه، والحديث يُفسِّرُ بعضه بعضاً." (٣)

وأكَّد ذلك الإمام علي بن المديني رحمه الله فقال: "الباب إذا لم تُجمع طرقُه لم يتبين خطؤه."(٤) فإن أكثر من ضل من أهل الفرق المنتسبة للإسلام كان سبب ضلالهم هو الاعتماد على بعض النصوص دون بعض، قال تعالى: أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ....(٥)، فمثلاً الخوارج؛ فإنهم اعتمدوا على نصوص الوعيد وأغفلوا نصوص الوعد، وعلى عكسهم تماماً المرجئة.وقد امتاز من المتأخرين في الجمع بين النصوص وتفسير بعضها ببعض أئمة الدعوة – رحمهم الله –، وهذا لا شك من إعمال النصوص وعدم إهمالها، وعدم معارضة بعضها ببعض.

قال الشيخ حمد بن ناصر بن معمّر رحمه الله إجابة على من أجاز دعاء غير الله تعالى، مستدلاً بالمتشابه قال رحمه الله : "إن القرآن فيه (آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ)(٦)؛ فيردّ المتشابه إلى المحكم، ولا يضرب كتاب الله بعضه ببعض. وكذلك وكذلك السنة: فيها محكم ومتشابه؛ فيردّ متشابهها إلى المحكم، ولا يضرب بعضها ببعض؛

(١) الفواكه العذاب: ص (٢٧ – ٣١) والدرر السنية: (٢٧٩/١٠ – ٢٨١)، (١٠١/١١ – ١٠٢).
(٢) الدرر السنية: (٢٩٩/١١) وانظر: (١٧٠/٨).
(٣) الجامع لأخلاق الراوي: (٣١٥/٢).
(٤) المصدر السابق: (٣١٦/٢).
(٥) سورة البقرة، الآية: (٨٥).
(٦) سورة الفرقان، الآية: (٣٣).

فكلام النبي صلى الله عليه وسلم لا يتناقض، بل يصدق بعضه بعضا؛ والسنة توافق القرآن ولا تناقضه. وهذا أصل عظيم يجب مراعاته؛ ومن أهمله فقد وقع في أمر عظيم وهو لا يدري، ومن المعلوم: أن أدلة القرآن الدالة على النهي عن دعاء غير الله، متظاهرة مع وضوحها وبيانها."[١] ثم سرد رحمه الله الأدلة من القرآن والسنة في النهي عن دعاء غير الله تعالى.ومثله ما صنع أئمة الدعوة رحمهم الله في الردِّ على من أجاز التوسل بذات النبي صلى الله عليه وسلم بحديث الأعمى[٢]، ردّوا عليهم بأن الصحابة كانوا يستسقون بدعائه لا بذاته كما هو ثابت في حديث الاستسقاء يوم الجمعة.[٣]

ومن العجب أن تجد من أهل البدع من يستدلُ بأول الآية وآخرها ردٌ عليه[٤]، وحالهم كما قال تعالى: فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ[٥].

وقد امتاز أهل السنة قديماً وحديثاً بجمع النصوص في الباب الواحد؛ إذ الدين لا يفهم إلا بهذا، فهم يؤمنون بالكتاب كلِّه ممتثلين قول الله تعالى: يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً[٦].

المطلب الخامس: اهتمامهم بتمييز الصحيح من الضعيف من الأحاديث وآثار الصحابة

أهل العلم قديماً وحديثاً اهتموا بتمييز الحديث الصحيح من الضعيف، لاسيما بعد أن وقعت الفتن؛ قال الإمام ابن سيرين رحمه الله : "لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا: سمُّوا لنا رجالكم فيُنظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، ويُنظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم."[٧]

وقد اهتمَّ أئمة الدعوة رحمهم الله بتمييز الصحيح من الضعيف من الأحاديث والآثار اهتماماً بالغاً وعلى رأسهم الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله -، فمن نظر في كتبه – لاسيما كتاب مجموع الحديث على أبواب الفقه، وكتاب التوحيد – أدرك ذلك غاية الإدراك، فهو- رحمه الله - يكثر من ذكر الحكم على الحديث بعد إيراده له،

---

(١) الدرر السنية: (١١/٤٥).

(٢) رواه أحمد في مسنده: (٢٨/٤٧٨)، برقم (١٧٢٤٠) ورواه الترمذي، كتاب الدعوات، باب (١١٩)، برقم (٣٥٧٨)، قال الترمذي: حديث: حسن صحيح غريب.

(٣) رواه البخاري، كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء على المنبر، برقم: (١٠١٥)، ومسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء، برقم: (٢٠٧٨).

(٤) انظر على سبيل المثال لا الحصر: الأسنة الحِداد: ص (٢٣٩).

(٥) سورة الحج، الآية: (٤٦).

(٦) سورة البقرة، الآية: (٢٠٨).

(٧) مقدمة صحيح مسلم: (١/٢٠٠).

فإن كان فيه خلاف ذكره، وبيَّن وقفه أو إرساله، أو من تكلم فيه. قال العلاّمة حمد بن ناصر رحمه الله : "والأحاديث التي تذكر في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ضعيفة، باتفاق أهل العلم بالحديث؛ بل هي موضوعة؛ فليس في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم حديث صحيح، ولا حسن، ولا روى أهل السنن المعروفة...."(١)

والكلام عن جهود أئمة الدعوة في هذا الباب يطول كثيراً فتمييز الأحاديث الصحيحة من الضعيفة أمر مهم للغاية؛ فالدين لا يُعرف إلا بما صحَّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٢).

المبحث الثاني: خصائص منهجهم فيما يتعلق بالقائم بالردّ

المطلب الأول: التزام العدل والإنصاف مع المخالفين

إن العدل والإنصاف مع المخالف أمر صعب جليل، حيث إن منهج هذا الدين هو الأمر بالعدل، والنهي عن الظلم، قال تعالى: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ (٣)، والعدل مطلوب في القول: وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا (٤)، كما إنه مطلوب في الحكم على الآخرين: وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ (٥)، وهذا ما درج عليه علماء السلف قاطبة فإنهم يعترفون بما عند المخالفين من صدق، ولا يعميهم ما يجدون عندهم من ضلال وانحراف فيصدهم عن قول الحق فيهم، أو يدعوهم إلى رمي المخالفين بما ليس فيهم، وهذا بخلاف ما سار عليه أهل الأهواء والبدع فإنهم يسعون إلى إنكار الحق الذي مع خصمهم، والكذب والافتراء عليه، بل يجعلون أقوال مخالفيهم على أسوأ الاحتمالات، ولا يعترفون لهم بالحقّ أبداً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (.. والله قد أمرنا ألا نقول عليه إلا الحق، وألا نقول عليه إلا بعلم، وأمرنا بالعدل والقسط، فلا يجوز لنا إذا قال يهودي أو نصراني فضلاً عن الرافضي قولاً فيه حق أن نتركه، أو نردّه كله، بل لا نردّ إلا ما فيه من الباطل دون ما فيه من الحق.)(٦) وإذا تأمّلنا حال علماء الدعوة السلفية بنجد رحمهم الله نجد أنهم على هذا المنهج المنهج ساروا، ولآثار أهله قد اقتفوا. فهذا هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله يقول

(١) الدرر السنية: (١١٦/١١) وانظر: (٣٩٥/٥)، (٢٠٦/١٠ – ٢٠٧) وفتح المنان: ص (٦٧، ٨٠).
(٢) سورة يوسف، الآية: (١٠٨).
(٣) سورة النحل، الآية: (٩٠).
(٤) سورة الأنعام، الآية: (١٥٢).
(٥) سورة النساء، الآية: (١٥٨).
(٦) منهاج السنة النبوية: (٣٤٢/٢) وانظر: درء تعارض العقل مع النقل لابن تيمية: (٢٠٧/٩).

في إحدى رسائله: "ومتى لم تتبين لكم المسألة لم يحلّ لكم الإنكار على من أفتى، أو عمل حتى يتبين لكم خطؤه، بل الواجب السكوت والتوقف، فإذا تحققتم الخطأ بينتموه، ولم تهدروا جميع المحاسن لأجل مسألة، أو مائة، أو مائتين أخطأت فيهنّ، فإني لا أدّعي العصمة." (١)

ويتمثل التزامهم بالعدل والإنصاف بجملة أمور منها:

١- الاعتراف بما عند المخالف من صدق وحق

وقال الشيخ حمد بن معمر رحمه الله لما انتهى من الرد على من أجاز دعاء أهل القبور: (واعلم رحمك الله أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صادق، وآثار حسنة، وهو من الإسلام وأهله بمكان قد يكون منه الهفوة والذلة، وهو فيها معذور، بل مأجور لاجتهاده، فلا يجوز أن يتبع فيه ولا يجوز أن يغبط مكانه وإمامته ومنزلته في قلوب المسلمين.)(٢)

يقول الشيخ حمد بن عتيق في استدراكه على الشيخ محمد صديق خان: (وأنا اجتريء عليك، وإن كان مثلي لا ينبغي له ذلك، لأنه غلب على ظني إصغاؤك إلى الحق، ولأن من أخلاق أئمة الدين قبول التنبيه والمذاكرة، وذمّ الكبر، وإن كان القائل غير أهل، ولأنه بلغني عن بعض من اجتمع بك، أنك تحبّ الاجتماع بأهل العلم، وتحرص على ذلك، وتقبل العلم، ولو ممن هو دونك بكثير، فرجوت أن ذلك عنوان التوفيق، جعلك الله كذلك وخيرا من ذلك.)(٣)

٢- الدعاء بالهداية والرشاد للمخالفين

ومما يدل على تميّز منهجهم بالعدل والإنصاف، وإرادتهم إحقاق الحق، والالتزام به أنهم لا يعترفون بما عند المخالف من الحق فحسب، بل يدعون له بالهداية والرشاد، من ذلك ما قاله الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله في أحد ردوده(٤): (... فمن ذلك قوله في آخر ورقته: فرحم الله امرءاً قال الحق وبه صدع، فالحق أحق أن يتبع.فالجواب أن يقال: تأمّل ما تقدم من الجواب، فإن الحق بحمد الله فيه ظاهر، فإن كان طالب حق وجده، وإلا فقد قامت عليه الحجة، وانزاحت الشبهة، عمّن أراد البيان، ووفق لفهم العلم والإيمان، والله المستعان، فعسى الله أن يمنع عنه موانع الهداية، وأسباب الضّلالة والغواية.)(٥)

---

(١) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب: (٥/٢٤٠ – ٢٤١).

(٢) النبذة الشريفة، ص: (١٧٣ – ١٧٤).

(٣) الدرر السنية: (١٣/١٢).

(٤) وهو عبارة عن رسالته الموسومة بـ(إرشاد طالب الهدى لما يباعد عن الردى).

والغواية.)[١]

٣- تقديمهم لحسن الظن عند مخاطبتهم المخالفين

ومن أمثلة العدل والإنصاف مع المخالف: تقديمهم لحسن الظن عند مخاطبتهم مع المخالف وحسن التواضع وعلوّ الخق إذا لم يكن داعية إلى بدعة أو مستكبراً في العبادة. يقول الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن آل الشيخ ردّاً على الشيخ عبد الله بن أحمد في تنبيهه إلى المذهب الحق في بعض المسائل الاعتقاد بقوله: "الموجب لهذه المكاتبة: النصيحة، وحسن الظن بك، وأتيقن أن الحق ضالتك، فالذي أوصيك به: أن تطيع الله ورسوله، وتقدم ذلك فيما أشكل عليك". [٢]

وقال الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله:"الواجب أولاً: تأمل ما يراد به من الكلام وموضوعه، وثانياً: سؤال أخيك عن وجه ما أشكل عليه من الكلام، وما أراد به، فإن كان حقا صوابا أثبت به عليه، وإن كان خطأ أرشدته إلى الحق ودللته عليه، فإن الحق ضالة المؤمن، أينما وجده أخذه، وليس في الرجوع إلى الحق غضاضة على مريد الحق والإنصاف". [٣]

٤- النصح والشفقة وإرادة الخير للمخالفين

ومن أمثلة العدل والإنصاف مع المخالف: استعمالهم لبعض العبارات التي تدل على النصح والشفقة وإرادة الهداية والخير للمخالف.يقول الشيخ عبد اللطيف عبد الرحمن آل الشيخ في ردّه على إبراهيم بن خيار بقوله:"وبسط الكلام يطول، وأنا أحب لك الخير، وأن لا تهلك مع من هلك، فلذلك كتبت لك، طمعا في إنصافك، وتأملك". [٤] ويقول أيضاً: (واعلم أن القصد به: مناصحتك، ودعوتك إلى الله، لعل الله أن يمن عليك بالرجوع إليه، ومعرفة الحق، والعمل به". [٥]

٥- الاعتذار للمخالف فيما وقع فيه من خطأ

ومن أمثلة العدل والإنصاف أيضاً الاعتذار للمخالف فيما وقع فيه من خطأ، يقول الشيخ حمد بن عتيق في استدراكه على الشيخ محمد صديق خان: (وقد سلكتم في هذا التفسير في مواضع منه، مسلك أهل التأويل، مع أنه قد وصل إلينا لكم رسالة في ذم

---

(١) الدرر السنية: (١٣٣/٧) (ط الثانية) وانظر: الشيخ عبد الرحمن بن حسن وطريقته في تقرير العقيدة: (٢٠١).
(٢) الدرر السنية: (٥٣٦/١).
(٣) الدرر السنية: (٢٣٢/٤).
(٤) الدرر السنية: (٥٠٢/١).
(٥) الدرر السنية: (٥٠٧/١ – ٥٠٨).

التأويل مختصرة، وهي كافية ومطلعة على أن ما وقع في التفسير صدر من غير تأمل، وأنه من ذلك القبيل، وكذلك في التفسير من مخالفة أهل التأويل ما يدل على ذلك.) [١]

المطلب الثاني: قوة الحجة في الردّ على المخالفين، ويتمثّل ذلك هذا بجملة أمور، منها:

١- مطالبة المخالف بالدليل لإثبات دعواه ودعوته إلى ما يثبته الدليل

مما يتميّز به أئمة الدعوة أنهم كمن سبقهم من السلف الصالح لا يدعون إلى شخص أو جماعة أو مذهب، بل الراجح عندهم ما يترجح بالدليل والبرهان الواضح من كتاب الله وسنة سيد المرسلين، وما فهمه السلف الصالح من أئمة هذا الدين في كل ما يدعون إليه، من اعتقاد أو فعل أو ترك، ويطالبون المخالف إلى كلمة سواء بينهم، وأن من جاءهم مما يعضده الدليل فليس لهم إلا القبول واتباعه.

ومن أمثلة ذلك ما قاله الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: (إن المرجع في ما اختلفوا فيه إلى الردّ إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومن كان أسعد بالدليل فهو المصيب، وقوله هو الحق، والعمل على ما وافق الدليل، وهذا هو الذي أمرنا الله به، وفرضه علينا، كما قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ.[٢].[٣]

٢- عدم قبول دعوى المخالف إلا بدليل

ومن أمثلة ذلك ما قاله الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله تعالى: (فكل قول يقوله هذا المعترض وغيره، فهو مطالب بالدليل، إما من الكتاب أو السنة أو الإجماع، فإن قام الدليل وإلا فقوله ردّ عليه.) [٤]ومن أمثلة ذلك قول الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن بن حسن – رحمه الله – في جواب له على من يُجيز قراءة القرآن الكريم على القبر:(فتبين لك أن نسبة جواز القراءة على القبر مطلقاً إلى أحد من أهل العلم، أو دعوى أن في ذلك حديثاً مرفوعاً، أو أثراً، دعوى مجرّدة، لا دليل عليها وهذا هو سرّ المسألة ومقصود السؤال.) [٥]

٣- الاحتجاج على المخالف بدليله

ومن أمثلة ذلك ما ردّ به أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والشيخ حمد بن

---

(١) الدرر السنية: (٢٥/١٣).

(٢) سورة النساء، الآية: (٥٩).

(٣) الدرر السنية: (٢٨١/٥ – ٢٨٢).

(٤) الدرر السنية: (١٨٢/٨).

(٥) جواب حول حكم القراءة على القبر ضمن الدرر السنية: (١٤٦/٥).

ناصر بن معمّر – رحمهم الله – على من استدلّ بقوله تعالى: لَنْ تَرَانِي [١]، على نفي الرؤية فقالوا: (وأما قوله تعالى لموسى: لَنْ تَرَانِي فذكر العلماء أن المراد لن تراني في الدنيا، أيضاً الآية دليل واضح على جوازها وإمكانها؛ لأن موسى عليه السلام أعلم بالله من أن يسأله ما لا يجوز عليه، أو يستحيل، خصوصاً ما يقتضي الجهل، ولذلك ردّ الله بقوله: لَنْ تَرَانِي دون أرى، ولن أريك، ولن تنظر إليّ، فبذلك تبين أنها دالة على مذهب أهل السنة والجماعة بإثبات رؤية الله يوم القيامة، ورادّة لمذهب الجهمية، والمعتزلة، ومن تبعهم من أهل الأهواء والبدع.) [٢]

ومما كتبه الشيخ عبد الرحمن بن حسن – رحمه الله – قوله: (وقوله المطابق[٣] لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم...) [٤]

أقول: لا ريب أن المطابقة وقعت منه ولا بد، لكنها في النهي عنه، لا في المنهي، فالذي نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم من الإطراء، طابقته الأبيات من قوله: يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك ... إلى آخرها.) [٥]

ويقول الشيخ صالح الششري[٦]– رحمه الله:

(وهذه الحكاية التي[٧] احتجّ بها هذا الرجل[٨] هي حجّة عليه في قوله أن من جاز جاز أن يُطلب منه في الحياة، جاز أن يُطلب منه بعد الممات، وهو صلى الله عليه وسلم لما كان حيا معهم على وجه الأرض إذا طلبوا منه أن يستسقي لهم يستقي بنفسه لا يقول اذهبوا إلى فلان يستسقي لكم، وفي هذه الحكاية لم يقل أن أستسقي لكم بل أمر عمر أن

---

(١) سورة الأعراف، الآية: (١٤٣).

(٢) الدرر السنية: (٢٩/٣).

(٣) القائل هو محمد بن عبد الله بن حميد مدافعاً عن البوصيري إذا يقول – في بردته – : دع ما ادّعته النصارى في نبيهم ... انظر: مجموع القائل والمسائل: (٢٢٤/٤) والدرر السنية: (٤٥/٩ – ٤٦) (ط: ثانية).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، ك أحاديث الأنبياء، باب: (٤٨) ح: (٣٤٤٥) (فتح).

(٥) الدرر السنية: (٤٧/٩) (ط: ثانية) وانظر: كشف ما ألقاه إبليس، ص: (٦٢).

(٦) من كبار علماء الدعوة السلفية في نجد، ولد في حوطة بني تميم، وتعلّم فيها، ثم رحل إلى الرياض، له مؤلفات، وكانت بينه وبين أئمة الدعوة مراسلات كالشيخ عبد الرحمن بن حسن،وابنه الشيخ عبد اللطيف، والشيخ حمد بن عتيق، توفي بعد عام ١٣٠٩هـ.
انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون: (٣٣/٢-٥٣٥)

(٧) وهي أن رجلاً جاء إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فشكى إليه الجدب عام الرمادة، فرأه وهو يأمره أن يأتي عمر فيأمره أن يخرج فيستسقي بالناس.
انظر: تأييد الملك المنان ق: (٣٤)

(٨) يعني أحمد بن زيني دحلان.

يستسقي بالناس فدلّ على أن هذا متعذّر منه بعد موته ...) [١]

ومن أمثلة ذلك ما قاله الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: (وما ذكرت من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر"[٢]، فهو حديث صحيح، وهو حجة عليك لا لك، فانظر من الذي يسبّ المسلمين، ويتولّى المشركين، ويعادي من سبّهم.) [٣]

المطلب الثالث: الإعراض في الردّ عن السبّ، والكلام الفاحش البذيء

من منهج علماء الدعوة السلفية في نجد رحمهم الله الإعراض عن الجاهلين، كما أمرهم بذلك رب العالمين فقال: وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ [٤]، وعلى ذلك سار سلفنا الصالح رضوان الله عليهم أجمعين.فتجدهم لا يوردون البذاءة والسباب، حتى من كلام المخالفين، وينزّهون أقلامهم وألسنتهم عن ذلك، وهذه سمة يلحظها كل قارئ لردودهم رحمهم الله.يقول الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين رحمه الله في معرض ردّه على داود بن جرجيس: "وأما ما ذكره هذا من مدحه نفسه، وتزكيتها بدعوى العلم، وذمّه المخالف، وتجهيله، فالعاقل مايغترّ بذلك، بل يقوم لله، وينظر لنفسه، ويتأمّل ما يورد من الحجج..." [٥]

بل إنهم كانوا يتجاوزون مرحلة الإعراض عما قاله المخالف إلى العفو والصفح، والتماس العذر، والدعاء له بالهداية. وهذا الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمه الله يقول: "واعلم أن القصد بهذا: مناصحتك، ودعوتك إلى الله، لعل الله أن يمن عليك بالرجوع إليه، ومعرفة الحق، والعمل به." [٦]

المطلب الرابع: وسطية علماء الدعوة في هذه الردود بين الغلو والجفا

حين نتأمل في ردود علماء الدعوة السلفية – رحمهم الله – في نجد على المخالفين في مسائل الموالاة والمعاداة نجد أنهم توسطوا بين الغلاة والجفاة، ومما يوضّح ذلك ردّهم على أهل

---

(١) تأييد الملك المنان ق: (٣٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: (٣٢/١٣) رقم الحديث (٧٠٧٦) (فتح) كتاب الفتن باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (لاترجعوا بعدي كفاراً) ومسلم في صحيحه (٢٤١/٢ – ٢٤٢) رقم الحديث (٢١٨) كتاب الإيمان باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (سباب المسلم فسوق).

(٣) الدرر السنية: (١٩٧/٨).

(٤) سورة الأعراف، الآية: (١٩٩).

(٥) تأسيس التقديس: ص (٣ – ٤) باختصار، وانظر: التوضيح عن توحيد الخلاق: ص (٣٨) والدرر السنية: (٧٩/٩) ثانية.

(٦) الدرر السنية: (٥٠٧/١ – ٥٠٨) وقال ذلك في نهاية ردّه على إبراهيم خيار على لسان راشد بن عبيد الله الغزي، وانظر: النبذة الشريفة: ص (١٧٤).

الإفراط، وأهل التفريط.

ومن أمثلة ردّهم على الغُلاة في مسائل الموالاة والمعاداة، ما كتبه الشيخ سليمان بن سمحان – رحمه الله – فقال: "وقد بلغنا أن بعض الجهال المتعمقين لما سأله بعض البادية: هل يجوز أن نهاجر؟ ونبني مساكن في "نفي" أو غيره من قرى السر؟ فقال: لا يجوز أن يبنى بها، أو تكون محل هجرة، لأنها مؤسسة على الكفر؛ وما علم هذا المسكين الجاهل أن المدينة التي هاجر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، قد كانت مؤسسة على الكفر – أي مبنية في حال الكفر – قبل الإسلام، وكان الذي أسسها الأوس والخزرج، وحلفاؤهم من اليهود، وكانوا إذ ذاك كفاراً مشركين، فلما ظهر بها الإسلام، وهاجر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، صارت دار الهجرة، ولم يضرها تأسيس من أسسها على الكفر.

وبلغنا أيضاً، من مجازفة بعض هؤلاء الأعراب المهاجرين في هذه البلدان، ومجاوزتهم للحد بالغلو في الموالاة والمعاداة فيه، أنه لما سافر بعضهم إلى بعض بلدان المسلمين من بلدان نجد، ومكث فيها نحواً من أربعة أشهر، هجروه من السلام، لزعمهم أنه متربص في هذه البلاد؛ ولازم قولهم: أن هذه البلدة إما بلاد كفر، أو بلاد فسق، يجب على من لم يقدر على إظهار دينه فيها الهجرة عنها، لأنها على زعمهم، لا يحل لأحد المقام بها."[(١)]

المطلب الخامس: التوثيق والأمانة في نقل كلام المخالفين

فعلماء الدعوة السلفية بنجد رحمهم الله لا يردّون على أقوال المخالفين من خلال الكتب التي ردّت عليهم، أو تحكي عنهم، أو فيما يُقال عنهم، بل يوثقون أقوال المخالفين من كتبهم ذاتها.يقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن – رحمه الله – : "وقد رُفِعَ إلى رسالة سمّاها[(٢)]: "صلح الإخوان" فيها من تحريف الكلم عن مواضعه، والكذب على أهل العلم، وعدم الفقه فيما ينقله ويحكيه من كلامهم ما لا يحصيه إلا الله."[(٣)] ومما كتبه الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى رحمه الله في مقدمة كتابه: "الردّ على شبهات المستعينين بغير الله" قوله: "فقد وقفت على كرّاسة لبعض العصريين من أهل العراق سمّاها[(٤)]:

---

(١) الدرر السنية: (٨/٤٣٩ – ٤٨٠).

(٢) يعني داود بن جرجيس.

(٣) منهاج التأسيس والتقديس: ص (١١) وانظر: البراهين الإسلامية: (٤١) والإتحاف في الردّ على الصحّاف: (٢١) وتأييد الملك المنان: ق (٣).

(٤) يعني داود بن جرجيس، انظر: مشاهير علماء نجد: ص (١٨٧).

"أنموذج الحقائق"، وضمّنها كثيراً من الهذيان والشقاشق..."[١]ومما يؤكد التزامهم بهذا المنهج أن أحدهم إذا سمع كلاماً للمخالفين، فإنه يطلب ممن وصلتهم هذه الشبه تزويده بها حتى يتمكن من الردّ عليها، كما فعل الشيخ عبد الرحمن بن حسن – رحمه الله – في رسالته إلى أحد طلابه، فقال: "والحاصل أنّ المطلوب منك، أخذ ما كتبه، وإرساله إليّ لأنظر فيه، ليطالبَ في كل لفظة ببرهانها، وليُظهرَ تناقضه، فإن المقام مقام لا يسع تركه..."

كما أنهم أيضاً راعوا أمراً عظيماً وهو التثبت والوقوف على ما نُسب لأحدٍ من الناس، وقد جاء هذا مصرحاً في كلامهم. يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله: " فقد وقفت على ورقة لرجل من أهل فارس، تضمنت من الجهل والشقاق لأهل التوحيد، ما يتبين للبصير أنها لم تخرج إلا من رجل أجهل من حماره، يعتقد المعروف منكرا، والمنكر معروفا، والسنة بدعة والبدعة سنة، والحق باطلاً والباطل حقا، ويأتي بالمحال في معرض الجدال؛ وهذا لفظه..." [٢]

المطلب السادس: عدم تكفير المخالف من المسلمين

من منهج أئمة الدعوة رحمهم الله أنهم كغيرهم من السلف الصالح لا يكفّرون المخالف المنتسب إلى الإسلام، إلا بعد توفر الشروط وانتفاء الموانع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "أهل السنة لكل طائفة من هؤلاء خير من بعضهم لبعض..، وأهل السنة يتَّبعون الحق من ربهم الذي جاء به الرَّسول، ولا يكفّرون من خالفهم فيه، بل هم أعلم بالحق، وأرحم بالحق، كما وصف الله به المسلمين بقوله: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ [٣]، قال أبو هريرة رضي الله عنه: "كنتم خير الناس للناس. [٤]"[٥]

وأهل السنة لا يبتدعون قولاً، ولا يكفّرون من اجتهد فأخطأ، وإن كان مخالفاً لهم، مكفراً لهم، مستحلاً لدمائهم، كما لم تكفّر الصحابة الخوارج، مع تكفيرهم لعثمان وعلي ومن والاهما، واستحلالهم لدماء المسلمين المخالفين لهم."[٦]فهذا المنهج هو الذي سار عليه عليه أئمة الدعوة في تعامل المخالف، وليس كما يقوله المخالفون عنهم من تكفير كل من

---

(١) الردّ على شبهات المستعينين بغير الله: ص (١٩) وانظر: الصواعق المرسلة الشهابية: ص (٥) وكشف الشبهتين: ص (٨).

(٢) الدرر السنية: (٣٥٠/١١) وانظر: (٢٣٨/١١)، (٤٣/١٢).

(٣) سورة آل عمران، الآية: (١١٠).

(٤) صحيح البخاري، التفسير، باب (كنتم خير أمة أخرجت للناس): ص (٤٥٥٧)، تفسير الطبري عند تفسيره هذه الآية: (١٠٣/٧).

(٥) انظر: منهاج السنة النبوية: (١٥٤/٥ – ١٦٠)، (٣٧٥/٦)، (٤١٤/٧).

(٦) مجموع فتاوى ابن تيمية: (٢١٢/١٩) وانظر: (٢٧٩/٣، ٣٥٥) ومنهاج السنة: (٩٥/٥).

خالفهم، أو لم يهاجر إليهم وغير ذلك من الإفك والبهتان، وإنما هم متمسكون في دعوتهم وأحكامهم على الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة، وما قرره الأئمة.

يقول الشيخ عبد الرحمن حسن رحمه الله في ردّ له على من اتهم أئمة الدعوة بالتكفير من غير تحقيق ولا تحرير، يقول: "فنحن بحمد الله ننكر هذه الكفريات، ونعادي أهلها؛ فإن أبى المنحرف، إلا أن يطعن علينا بقوله: كفرتم أمة محمد، قلنا: معاذ الله، لا نكفر مسلما."(١)

وفي رسالة للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن، يقول فيها: "ونحن قد جرينا على سننهم (أي سلف الأمة) في ذلك، وسلكنا مناهجهم فيما هنالك، لم نكفر أحدا إلا من كفّره الله ورسوله، وتواترت نصوص أهل العلم على تكفيره، ممن أشرك بالله وعدل به سواه ؛ أو عطل صفات كماله، ونعوت جلاله، أو زعم أن لأرواح المشايخ والصالحين تصرفا وتدبيرا مع الله؛ تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا." (٢)

وفي جواب للشيخ حمد بن ناصر رحمه الله لمن سأله بقوله: "إنكم تكفّرون بالمعاصي، فأجاب: "ليس هذا قولنا، بل هذا قول الخوارج، الذين يكفّرون بالذنوب، ولم نكفّر أحدا بعمل المعاصي؛ بل نكفر من فعل المكفّرات، كالشرك بالله بأن يعبد معه غيره، فيدعو غير الله، أو يذبح له، أو ينذر له، أو يخافه، أو يرجوه، أو يتوكل عليه، فإن هذه الأمور كلها عبادة لله بنص القرآن، وإيراد الأدلة على ذلك له بسط طويل، لا تحتمله هذه الورقة."(٣)

المبحث الثالث: خصائص منهجهم فيما يتعلق بالتعامل مع المخالفين

المطلب الأول: التلطف مع المخالف وأخذ الرد عليه منحىً دعوياً

من منهج أئمة الدعوة رحمهم الله أنهم يتلطَّفون مع المخالف في المناقشة والمراسلة؛ لأن الهدف هو الدعوة إلى دين الله الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه، وهو توحيد الله عز وجل، وتجريد المتابعة للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وليس مجرد إفحام الخصم، والغلبة عليه في المناظرة، كما هو دأب أهل البدع، قال الإمام الشافعي رحمه الله: وددت أن الناس تعلموا هذه الكتب ولا ينسب إليَّ منها شيءٌ.(٤) وعلى هذا سار أئمة الدعوة.

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن: "واعلم أن القصد بهذا: مناصحتك، ودعوتك إلى الله لعل الله أن يمنّ عليك بالرجوع إليه، ومعرفة الحق، والعمل به، وعليك

(١) الدرر السنية: (٤٧٢/١١).
(٢) الدرر السنية: (٣٣٩/١٢ – ٣٤٠).
(٣) الدرر السنية: (٣٣٧/١٠ – ٣٣٨).
(٤) انظر: تاريخ دمشق: (٣٦٥/٥١).

بالتفكر والتدبر، والدعاء بدعاء الاستفتاح، الذي أخرجه مسلم في صحيحه: "اللهم رب جبريل، وميكائيل، وإسرافيل إلى آخره."[١]

وقال العلاَّمة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله في بيانه لحال عثمان بن منصور: "فليُعلم أن هذا الذي علقته في هذه الورقات، قد اقتصدت فيه، واقتصرت على ما تحصل به الفائدة، ويحصل به الثواب من الكريم الوهاب، لأنه من أفضل الجهاد في الدين، والنصيحة لعامة المسلمين، ولمن يصل إليه ممن له رغبة في معرفة حقيقة الدين، الذي بعث الله به الأنبياء والمرسلين."[٢]

ومثله ما جاء: "من حمد بن عتيق[٣]: إلى من بلغه من المسلمين، ألزمهم الله شرائع الدين، وجنبهم طريق الكفار والمنافقين آمين؛ سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد، فالموجب للخط هو النصيحة لكم، والمعذرة من الله في إبلاغكم."[٤]ومما يؤكد هذا المعنى قول العلاَّمة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رحمه الله: "ولولا ما نقصده من انتفاع من اطلع على هذه الرسالة[٥]، لم نتعرض لرد شيء من كلامه." [٦]

المطلب الثاني: الشدة والغلظة على المخالف في بعض الأحيان إذا اقتضاه المقام

الشدة على المخالف في بعض الأحيان إذا اقتضاه المقام مطلوب؛ وقد دلت النصوص عليه؛ والمراد منه الحفاظ على الدين أولاً، ثم تحذير الناس ثانياً، ثم نصحُ المخالف ثالثاً، وما حفظ الله لنا هذا الدين من الضياع إلا بعلم الجرح والتعديل؛ إذ الأصل في الإنسان الظلم والجهل[٧] كما ذكر ذلك ربنا سبحانه وتعالى فقال: إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ..... [٨].

وعلى سبيل المثال لا الحصر في الشدِّة المحمودة على المخالف ما ثبت عن النبي

---

(١) الدرر السنية: ٥٠٧/١ – ٥٠٨).

(٢) الدرر السنية: (٥/١٢) وانظر: (٥٥/٩، ٥٩)، (٢٩٩/١١)، (١٩/١٤، ٤٣١، ٥١٨).

(٣) هو: حمد بن علي بن محمد بن عتيق بن راشد بن حميضة، واشتهر بابن عتيق نسبة إلى جده الثاني عتيق، ولد عام ١٢٢٧هـ في بلدة الزلفي، ونشأ بها، وحفظ القرآن، قرأ في الرياض على كبار العلماء منهم: عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، وعلي بن حسين آل الشيخ، وعبد الرحمن بن عدوان، وكان حريصاً مجتهداً، وله مؤلفات كثيرة مفيدة، من أشهرها: إبطال التنديد باختصار كتاب التوحيد، توفي بالأفلاج عام ١٣٠١هـ. انظر: الدرر السنية: (٧٧/١٢) ومشاهير علماء نجد: ص (١٧٩) وعلماء نجد: (٢٢٨/١).

(٤) الدرر السنية: (٧٤/٨) وانظر: (٢٧٤/٣)، (٨٨/٩، ١٠٣، ١٥٦، ١٩٩، ٣١٠).

(٥) هي: رسالة دلائل الرسوخ في الردِّ على المنفوخ.

(٦) الدرر السنية: (١٣٧/١٢).

(٧) وقد قرر هذا شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –، انظر: مجموع الفتاوى: (٣٥٧/١٥).

(٨) سورة الأحزاب، الآية: (٧٢).

صلى الله عليه وسلم في شدته على ذي الخويصرة؛ لما قال اعدل يا محمد!، فقال صلى الله عليه وسلم: "ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل؟! قد خبتُ وخسرتُ إن لم أكن أعدل" فقال عمر: يا رسول الله! ائذن لي فيه فأضرب عنقه، فقال: "دَعْهُ فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاتَه مع صلاتهم وصيامَه مع صيامهم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية..." [(١)].وقريبٌ منه هجر النبي صلى الله عليه وسلم للثلاثة الذين خُلِّفوا[(٢)]، فقد بوَّب أبو داود عليه بـ"بابُ مجانبةِ أهلِ الأهْوَاءِ وَبُغْضِهِمِ."[(٣)]وقد سلك سلك أئمة الدعوة – رحمهم الله – الشدة على المخالف أحياناً اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام رضي الله عنهم، والسلف الصالح رضوان الله عليهم ، فمن ذلك:

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله: "فقد وقفت على ورقة لرجل من أهل فارس، تضمنت من الجهل والشقاق لأهل التوحيد، ما يتبين للبصير أنها لم تخرج إلا من رجل أجهل من حماره، يعتقد المعروف منكرا، والمنكر معروفا، والسنة بدعة والبدعة سنة، والحق باطلاً والباطل حقا، ويأتي بالمحال في معرض الجدال."[(٤)]وقال أيضاً: " أما بعد: فقد وردت علينا أسئلة من عمان، صدرت من جهمي ضال، يستعجز بها بعض المسلمين، فينبغي أن نجيب عنها بما يفيد طالب العلم، وما لا فائدة فيه لا يحتاج إلى الاشتغال بالجواب عنه."[(٥)]

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله في ردّه على داود بن جرجيس: "فإنه قد بلغني أنه قد ورد على بعض الإخوان مكاتبة من داود بن جرجيس مملوءة بالكذب والتلبيس، ولا ريب أنه مما أوحاه الشيطان، وزخرفه إبليس، فأعجب لاتفاق الاسمين وزناً، وموافقته له في كل حركة وسكون .. وأما المشابهة في المعنى فقد سدد القرطاس بضروب من الوسواس .."[(٦)] ويقول عبد اللطيف بن عبد الرحمن أثناء ردّه على داود: " أين آثار العلم في جهل هذا وأبيه بالتوحيد، فضلاً عن سائر العلوم؟ ... وانظر لتسمية جده بجرجيس؟ ومعلوم أن جرجس وبطرس ليسا من أسماء المسلمين، فما وجه التسمية بذلك؟"[(٧)]

---

(١) رواه البخاري، كتاب: استتابة المرتدين، باب: من ترك قتال الخوارج، برقم: (٦٩٣٣) ومسلم، كتاب: الزكاة، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم، برقم: (١٠٦٣)، من حديث أبي سعيد الخدري.

(٢) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب: حديث كعب بن مالك، برقم: (٤٤١٨)، ومسلم، كتاب التوبة، باب: حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، برقم: (٧٠١٦).

(٣) رواه أبو داود، كتاب السنَّة، باب: مجانبة أهل الأهواء، برقم: (٤٥٧٦).

(٤) الدرر السنية: (٣٥٠/١١) وانظر: المطلب الحميد: ص (٦٩).

(٥) الدرر السنية: (٢١٢/٣) وأيضاً: (٢٤٤/٣).

(٦) كشف ما ألقاه إبليس: ص (٤٥ – ٤٦).

(٧) منهاج التأسيس والتقديس: ص (١٤).

المطلب الثالث: طرح الأسئلة على المخالف، وطلب الإجابة عليها

وهذا المنهج الذي اتخذه علماء الدعوة السلفية في نجد – رحمهم الله – في الردّ على المخالفين جيد، ومتميز من ناحيتين:الأولى: أنهم يبيّنون من خلاله للشخص المردود عليه – وغيره – ضعفه وقلة علمه.الثانية: من أجل أن ينشغل بقضية أهم وأجدر من التي هو بصدد الحديث عنها.(١)

فعل الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين – رحمه الله – مع داود ابن جرجيس فقال: " أخبرني عن حقيقة الشرك الذي حرمه الله وأخبر أنه لا يغفره، فقال: هو السجود لغير الله. فقلت: نهى الله عن السجود لغير الله، لكن ما دليلك على أنه شرك؟ فلم يكن عنده جواب." (٢)

وأيضاً فإن من أبرز الذين سلكوا هذا المنهج الشيخ عبد الرحمن بن حسن – رحمه الله – فقد قال في خاتمة أحد ردوده: " فإذا عرف ذلك، فيتعين أن نسأل هذا الجهمي(٣)، الجهمي(٣)، وغيره من المبتدعة، عن أمور لا يسع مسلما أن يجهلها، لأن الإسلام يتوقف على معرفتها.

فمن ذلك، ما معنى كلمة الإخلاص، لا إله إلا الله؟ وما الإلهية المنفية بلا النافية للجنس؟ وما خبرها؟ وما معنى الإلهية التي ثبتت لله وحده، دون ما سواه؟ وما أنواع التوحيد؟ وألقابه؟ وأركانه؟ وما معنى الإخلاص، الذي أمر الله به عباده، وأخبرهم أنه له وحده؟ وما تعريف العبادة التي خلقوا لها؟ وما أقسام العلم النافع، الذي لا يسع أحدا جهله؟ وما معنى اسم الله تعالى، الذي لا يسمى بهذا الاسم غيره؟ وما صفة اشتقاقه من المصدر الذي هو معناه؟ فالجواب عن هذا مطلوب؛ والله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم." (٤)

وقال الشيخ حمد بن معمر – رحمه الله – : "أخبرنا عن هذا الشرك الذي عظّمه الله وأخبر أنه لا يغفره؟ أتظن أن الله يحرّمه هذا التحريم، ولا يبينه لنا؟ فكيف يجوز أن يترك بيان الشرك الذي هو أعظم ذنب عُصِيَ الله به سبحانه؟! ويقال أيضا: إذا قال الله: فَصَلِّ

---

(١) انظر: الشيخ عبد الرحمن بن حسن وطريقته في تقرير العقيدة: ص (٢٠٦).

(٢) تأسيس التقديس: ص (٢ – ٣).

(٣) الجهمية: أتباع الجهم بن صفوان، الذي أنكر الأسماء والصفات، وقال: إن الإيمان هو المعرفة بالله فقط، والكفر هو الجهل فقط، وإن العبد مجبور على فعله، ولا قدرة له ولا اختيار، وإن الجنة والنار يبيدان، وقد تطلق الجهمية على من وافقهم في شيء من تعطيل الأسماء أو الصفات.
انظر: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري: (٣٣٨/١) والفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي: ص (١٩٩) والملل والنحل: (٨٦).

(٤) الدرر السنية: (٢٢١/٣) وانظر: (٨٢/٧، ٩٢)، (ط ثانية)، وتأييد الملك المنان: ق (٥٨).

لِرَبِّكَ وَانْحَرْ، وأطعت الله، ونحرت له، هل هذا عبادة؟ فلابد أن يقول: نعم؛ فيقال له: فإذا ذبحت لمخلوق، نبي أو ملك أو غيرهما، هل أشركت في هذه العبادة؟ فلا بد أن يقول: نعم، إلا أن يكابر ويعاند.." (١)

المطلب الرابع: عدم ذكر اسم المخالف أو المردود عليه إلا إذا اشتهر

حرص أئمة الدعوة رحمهم الله على السير على منهج أسلافهم الصالحين في ردِّهم على المشركين والمبتدعين؛ إذ هو من أعظم الجهاد في سبيل الله تعالى كما تقدم، ومعلوم لمن سبر حالهم أنهم قد راعوا أموراً رأوا أنَّ المصلحة في مراعاتها:فمن ذلك: أنهم لم يردوا على كل شيء ظهر فيه المخالفة، وإنما ردُّوا على ما يُحتاج إلى رده حتى لا يلتبس على الناس؛ إذ هو من باب الضرورات، والضرورة تقدر بقدرها.

قال العلاَّمة عبد الرحمن بن حسن رحمه الله : "وللمعترض كلامٌ ركيك، لا حاجة لنا إلى ذكر ما فيه، وإنما نتتبع من كلامه، ما يحتاج إلى رده وإبطاله." (٢)وبيَّن أيضاً رحمه الله سبب ردِّه على البردة قائلاً: " وقد افتتن بها كثير من الناس، وجعلوها أفضل من الأوراد النبوية." (٣)

وقال رحمه الله في موطنٍ آخر: "فقد وردت علينا أسئلة من عمان، صدرت من جهمي ضال، يستعجز بها بعض المسلمين، فينبغي أن نجيب عنها بما يفيد طالب العلم، وما لا فائدة فيه لا يحتاج إلى الاشتغال بالجواب عنه." (٤)

وقد راعى أئمة الدعوة المصلحة والمفسدة في ذكر اسم المردود عليه، فيرون تسمية المردود عليه في بعض الأحيان خاصة إذا خيف على الناس أن يفتتنوا به، أو جاء السؤال بالتنصيص على أسمائهم. (٥)

قال العلاَّمة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رحمه الله راداً على من أنكر على والده ذكر اسم المردود عليه: " وأما كون شيخنا الوالد صرح باسمك في الرياض، فهو منه اهتمام بالواجب الشرعي، فإن الرجل إذا خيف أن يفتن به الجهال، ومن لا تمييز عندهم في نقد أقاويل الرجال، فحينئذ يتعين الإعلان بالإنكار، والدعوة إلى الله في السر والجهار، ليعرف الباطل فيجتنب، وتهجر مواقع التهم والريب؛ ولو طالعت كتب الجرح والتعديل، وما قاله أئمة التحقيق والتأصيل، فيمن اتهم بشيء يقدح فيه، أو يحط من رتبة ما

(١) النبذة الشريفة النفيسة: ص (٣٤ – ٣٦).
(٢) الدرر السنية: (١٥٦/١١) وانظر: (٥٣/٢).
(٣) المصدر السابق: (٧٩/٩).
(٤) المصدر السابق: (٢١٢/٣)، الانتصار لحزب الله الموحدين: ص (١٩).
(٥) انظر على سبيل المثال: الدرر السنية: (٢٠٩/٩ – ٢١١).

يحدث به ويرويه، لرأيت من ذلك عجبا، ولعرفت أن سعي الشيخ محمودٌ قولاً وسبباً."[١]

الخاتمة

فالرد على المخالفين سواء أكانوا من المبتدعة أو الكافرين أو المنافقين أو غيرهم نوع من الجهاد في سبيل الله تعالى فهو من أفضل القربات وأعظم الطاعات، ففيه إظهار للسنة، وتحذير من البدعة، وقضاء على الفتنة، واستبانة سبيل المجرمين.والرد على المخالفين لا يكون عملاً صالحاً مقبولاً إلا إذا أريد به بيان الحق وإظهاره، ورحمة الخلق وهدايتهم، كما كان أهل السنة قديما وحديثاً يعلمون الحق ويرحمون الخلق.وليس الحديث عن علماء نجد تعصباً لإقليم.. فنعوذ بالله من دعاوى الجاهلية ونعرات القومية، لكنه الحديث عن علماء العقيدة الصحيحة المبنية على الكتاب والسنة، ممن لهم مواقف رائعة مغمورة، وأياد بيضاء منسية، وجهاد ودعوة وصبر وتضحية كغيرهم، فمع أن علماء نجد كانوا منشغلين بالتدريس والفتيا والقضاء وغيرها إلا أنهم اجتهدوا في الرد على المخالفين أياً كانوا، فصدعوا بالحق لا يخافون في الله لومة لائم ولم تمنعهم سطوة أحد من الخلق عن إبلاغ رسالات الله تعالى.

وفي إبراز جهود علماء نجد تقريرٌ لمسلك الوسطية والاعتدال؛ بين غلوّ الخوارج، وتساهل المفرّطين، وتوضيحٌ للمسلك العدل في المسائل التي يقع فيها الخلاف بالتفريق بين المسائل الاجتهادية التي يسوغ فيها الخلاف، ولا يضلّل فيها المخالف، وبين المسائل المعلومة من الدين بالضرورة والتي يتعيّن الالتزام بها، وعدم مخالفتها.

وفى هذا الصدد سطر علماء نجد في الرد على المخالفين كتباً كثيرة، ورسائل متعددة في الرد على طوائف الكفر وأهل البدع وسائر المخالفين لدين الله تعالى، ودوّنوا أجوبة شافية في إزالة اشكالات وكشف شبهات. وقد سلكوا منهج أهل السنة والجماعة في الردّ على المخالفين، وتمثّل هذا في جملة أمور منها:

أولاً: خصائص منهجهم فيما يتعلق بالاستدلال وعرض الأدلة

١- اعتمادهم في الرد على الكتاب والسنة والإجماع وفهم سلف الأمة.

٢- الاعتماد على أقوال الصحابة والتابعين في تفسير النصوص.

٣- تقرير الحق أولا، ثم بيان الباطل والرد عليه.

٤- جمع النصوص الواردة في المسألة الواحدة، وتفسير بعضها ببعض.

٥- اهتمامهم بتمييز الصحيح من الضعيف من الأحاديث وآثار الصحابة رضي الله عنهم.

---

(١) عيون الرسائل: (٥٩١/٢) والدرر السنية: (٣٦٦/١٢).

ثانياً: خصائص منهجهم فيما يتعلق بالتعامل مع المخالفين

١- التزام العدل والإنصاف مع المخالفين.

٢- قوة الحجة في الرد على المخالفين.

٣- الإعراض في الرد عن السبّ، والكلام الفاحش البذيء.

٤- وسطية علماء الدعوة في هذه الردود بين الغلو والجفا.

٥- التوثيق والأمانة في نقل كلام المخالفين.

٦- عدم تكفير المخالف من المسلمين.